﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: 22]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعدَ ذِكرِ فضيلةِ التأسّي يأتي بيانُ صفاتِ المتأسّين

لَمّا ذُكِرَتْ أقوالُ المُنافقينَ والَّذينَ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ المُؤْذِنَةُ بما يُداخِلُ قُلوبَهُمْ مِنَ الخَوْفِ وقِلَّةِ الإيمانِ والشَّكِّ فيما وعَدَ اللّه بِهِ رَسولَهُ ﷺ والمُؤْمِنينَ مِنَ النَّصْرِ ابْتِداءً مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأحزاب: 12]، قوبِلَتْ أقوالُ أولَئِكَ بِأقْوالِ المُؤْمِنينَ حينَما نَزَلَتْ بِهِمُ الأحْزابُ، ورَأوا كَثْرَتَهُمْ وعددهُم، وكانوا عَلَى بَصيرَةٍ مِنْ تَفَوُّقِهِمْ عليهِمْ في القوَّةِ والعَدَدِ أضْعافًا، وعَلِموا أنَّهُمْ قَدِ ابْتُلوا، وزُلْزِلوا، كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يُخِزْ عَزائِمَهُمْ، ولا أدْخَلَ عليهِمْ شَكًّا فيما وعَدَهُمُ اللّه مِنَ النَّصْرِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَعَدَنَا﴾: (وعد) كَلِمَةٌ صَحيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَرْجيَةٍ بِقَوْلٍ[2]، يُقالُ: وعَدْتُهُ أعِدُهُ وعْدًا، ومَوْعِدًا، وميعادًا[3]، ويَكونُ ذَلِكَ بِخَيْرٍ وشَرٍّ، وممّا يتضمَّن الأمرَيْن قولُ اللّه ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [يونس: 55]، فهذا وعْدٌ بالقيامة، وجزاء العِباد إن خيرًا؛ فخيرٌ، وإن شرًّا؛ فشرٌّ، والمَوْعِدُ والميعادُ يكونان مصدرًا واسمًا، فَأمّا الوَعيدُ؛ فَلا يَكونُ إلّا بِشَرٍّ، يَقولونَ: أوْعَدْتُهُ بِكَذا، وكذلك الإيعادُ يكونُ في الشَّرِّ وحدَه[4]، والمَعْنَى المِحْوَريُّ الاحْتِواءُ عَلَى ما يوجَدُ مُسْتَقْبَلًا زائِدًا عن الحال[5]، واخْتُلِفَ في المرادِ بِوَعْدِ اللّهِ ورَسولِهِ، فَقالَتْ فِرْقَةٌ: أرادوا ما أعْلَمَهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 304.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وعد).
(3) السّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: (وعد).
(4) الرّاغب، مفردات القرآن: (وعد).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (وعد).

بِهِ رَسولُ اللهِ ﷺ حينَ أمَرَ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ، فَإنَّهُ أعْلَمَهم بِأنَّهم سَيُحْصَرونَ، وأمَرَهم بِالاسْتِعْدادِ لِذَلِكَ، وبِأنَّهم سَيُنْصَرونَ بَعْدَ ذَلِكَ، وقالَتْ فِرْقَةٌ: أرادوا بِوَعْدِ اللهِ ما نَزَلَ في سورَةِ البَقَرَةِ، مِن قَوْلِهِ تَعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: 214]، ويُحْتَمَلُ أنْ يَكونَ المُؤْمِنونَ نَظَروا في هَذِهِ الآيَةِ، وفي قَوْلِ رَسولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ أمْرِهِمْ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ، وأشاروا بِالوَعْدِ إلى جَميعِ ذَلِكَ، وهي مَقالَتانِ، إحْداهُما مِنَ اللهِ تَعالى، والأُخْرى مِن رَسولِهِ ﷺ [1].

2) ﴿زَادَهُمْ﴾: (زيد) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الفَضْلِ، يَقولونَ: زادَ الشَّيْءُ يَزيدُ، فَهوَ زائِدٌ، وهَؤُلاءِ قَوْمٌ زَيْدٌ عَلَى كَذا، أي: يَزيدونَ[2]، والزِّيادة: النُّموُّ، وكَذَلِكَ الزِّوّادَةُ، والزِّيادَةُ: خِلافُ النُّقْصانِ، وزاد الشيءُ يزيدُ زَيْدًا وزيدًا وزيادَةً وزيادًا ومَزيدًا ومَزادًا، والزَّيْدُ والزِّيدُ: الزِّيادَةُ[3]، والزِّيادَةُ: أنْ يَنْضَمَّ إلَى ما عليه الشَّيْءُ في نَفْسِه شَيْءٌ آخَرُ، والمَقْصودُ هُنا زيادَةُ الإيمانِ في حدِّ ذاتِه، أوْ زيادَةُ أوْصافِه وما يُؤْمِنُ به المُسلمُ[4].

3) ﴿وَتَسْلِيمًا﴾: (سلم) مُعْظَمُ بابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ والعافيَةِ، فالسَّلامَةُ: أنْ يَسْلَمَ الإنْسانُ مِنَ العاهَةِ والأذَى، واللهُ جَلَّ ثَناؤُهُ هوَ السَّلامُ؛ لِسَلامَتِهِ مِمّا يَلْحَقُ المَخْلوقينَ مِنَ العَيْبِ والنَّقْصِ والفَناءِ[5]، والتَّسْليم عامٌّ في القلبِ واللِّسانِ والجوارحِ، فَإنَّ كُلَّ تَصْديقٍ بِالقَلْبِ فَهوَ تَسْليمٌ وتَرْكٌ للإباءِ والجُحودِ، وكَذَلِكَ الاعْترافُ باللِّسانِ، وكَذَلِكَ الطّاعَةُ والانقيادُ بالجَوارِحِ[6]، والتَّسْليمُ نوعانِ: تَسْليمُ لحُكْمِ اللهِ الدّينيِّ الأمْريِّ، وتَسْليمُ لِحُكْمِهِ الكَوْنيِّ القدَريِّ، فأمّا الأوَّلُ؛ فَهوَ تسليمُ المؤمنينَ العارفينَ، وأمّا التسليمُ للحُكْمِ الكَونيِّ؛ فالرِّضا بِالقَضاءِ، والتَّسْليمُ هو الخَلاصُ من شُبهةٍ تُعارِضُ الخَبَرَ، أو شَهْوَةٍ تُعارِضُ الأمرَ، أوْ إرادةٍ تُعارِضُ الإخلاصَ، أو اعتراضٍ يُعارِضُ القَدَرَ والشَّرْعَ، ومَنْ فَعَلَ ذلكَ؛ فَهوَ صاحِب

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 377.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زيد).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (زيد).
(4) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 167.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سلم).
(6) الغزالي، قواعد العقائد، ص: 236 - 237.

القَلْبِ السَّليمِ الَّذي لا يَنْجو إلّا مَن أتى اللّهَ به، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ التَّسْليمَ ضِدُّ المُنازَعَةِ، وهوَ مَحْضُ الصِّدّيقيَّةِ[1]، وهوَ المُرادُ هَهُنا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أهَمُّ سِماتِ المُؤمنينَ الصّادِقينَ التَّسليمُ والانقيادُ للهِ ولرسولِهِ ﷺ

تُبيِّن الآيةُ الكريمةُ حالَ المُؤمنينَ عِنْدَ لِقاءِ الأعداءِ، فأوْضَحَت أنَّه لَمّا شاهَدَ المُؤمنونَ - المُصَدِّقونَ بِمَوْعودِ اللّهِ لَهُم، المُخْلِصونَ في القَوْلِ والعَمَلِ - الأحْزابَ المُتَجَمِّعَةَ حولَ المَدينةِ، قالوا: هذا ما وعَدَنا اللّهُ ورَسولُه مِنَ الابتلاءِ والاخْتِبارِ بِمُجابَهةِ الأعداءِ ثُمَّ النَّصرِ القَريبِ، وصَدَقَ اللّهُ ورَسولُه الوعدَ بِالنَّصْرِ، وما زادَهُم تَجَمُّعُ الأعداءِ وتِلْكَ الحالُ مِنَ الشِّدَّةِ والضّيقِ إلّا إيمانًا بِاللّهِ، وتَصْديقًا لِرَسولِه ﷺ، وتَسْليمًا لِقَضائه وقَدَرِه وانْقيادًا لأوامِرِه وطاعةً لرَسولِه ﷺ، واعتِقادًا جازِمًا أنَّ النَّصْرَ مِنْ عندِ اللّهِ تَعالَى.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الواوِ العاطفة:

التَّقابلُ بين المنافقين والمؤمنين يكشفُ مواقفَهم ويُبيِّن حقائقَهم

الواوُ في قوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ عاطِفَةٌ الآيةَ على قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: 12]؛ لبيانِ التَّقابل بين الفريقين، فكلٌّ مِنهم صدرَ قولُه عن إيمانِه وموقفه من وعدِ اللّه تعالى ووعدِ رسولِه، ففيها مزيدُ مدحٍ للمؤمنين، وتعيينٍ للمتأسّين برسولِ اللّه ﷺ، فلهذا ناسب تأخيرُ ذِكرِ موقفِ المؤمنين بعد الأمرِ بالتَّأسّي.

فائدةُ استعمالِ (لمّا):

سُرْعَةُ الاستجابةِ بِلا رَيْثٍ ولا إبطاءٍ دليلٌ على قوَّةِ الثَّباتِ والرَّجاءِ

(لمّا) في قوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ ظرفيَّةٌ حينيَّةٌ متعلِّقةٌ بقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟﴾، أو رابطةٌ مُتضمِّنةٌ معنى الشَّرطِ[2]، أي: قال المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ عند رؤيةِ

(1) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: (سلم).
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 622.

الأحزابِ، وقَدْ عَلَّقَ النَّظْمُ قَولَ المؤمنينَ برؤيةِ الأحزابِ؛ للدَّلالَةِ عَلَى أنَّ هذا القولَ مِنْهُم كانَ بِلا رَيثٍ ولا إبطاءٍ، أي: ما إنْ رأوْهُم حَتَّى قالوا مَقالَتَهُم الَّتي تَدُلُّ على ثباتِهم وصُمودِهم، وذَلكَ دليلٌ على فَرْطِ اليَقينِ، وقوَّةِ الثِّقَةِ، ومَتانَةِ الإيمانِ، وهذا لا يُنافي أنَّ القَوْمَ رُعِبوا، وفَزِعوا كَما بيَّنتِ الآياتُ الأولى مِنَ السّورَةِ، فالخَوفُ مِنَ الهَولِ تابِعٌ للفِطْرَةِ، بل هوَ مُحَفِّزٌ شَديد القوَّةِ لشَحْذِ القوى للدِّفاعِ والاسْتِبْسالِ، وقدْ يكونُ التَّعبيرُ بهذا الأُسلوبِ طَلَبًا لِتَثْبيتِ القُلوبِ واستِشْعارِها الأمْنَ بتذَكُّرِ وعْدِ اللهِ، أوْ لَفْتًا إلى ما يوجِبُه التَّسْليمُ للهِ من القرارِ والاطمئنانِ[1].

بَلاغَةُ التَّعْبيرِ برؤية الأحزابِ لا مجيئهم:

إظْهارُ ثباتِ المؤمنينَ وصُمودِهم عندَ الرُّؤيةِ الفِعْليَّةِ العَيْنيَّةِ

جاء التَّعبير القرآنيُّ كاشفًا لأخلاق المؤمنين في قوْلِه تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾، فَلَمْ يَقُل: (وَلَمّا جاءَ الأحْزابُ) مثلًا، وذلك لبيانِ أنَّ قولَهم هذا كانَ بمجرَّدِ رؤيةِ الأحزابِ، ففيه إظْهارٌ لاستحضارِ المؤمنينَ موعودَ ربِّهم تعالى ونبيِّه ﷺ، فإنَّهم بادروا القولَ بمجرَّدِ الرُّؤيةِ الفِعْليَّةِ العَيْنيَّةِ.

بلاغةُ التَّعريض باختيارِ لفظ الإيمانِ:

نعتُ المؤمنين بهذا الوصفِ تعريضٌ بالمنافقين الذين لم يُؤمنوا

آثَر النَّظْمُ الحكيمُ في قوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ التَّعبيرَ بلفظِ ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ دونَ لَفْظِ (المُسْلِمينَ)؛ لأنَّ لَفْظَ ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أخَصُّ في الدَّلالَةِ مِنْ لَفْظِ (المُسْلِمينَ)، وهوَ في هذا السياقِ أشَدُّ إبْرازًا لأهَمِّ خصائصِ المُسلمِ، وهو أنْ يَتَمَكَّنَ الإيمانُ مِنْ قَلْبِه تَمَكُّنًا تامًّا، فلا يكْتَفي بالإذْعانِ والتَّسْليمِ، بلْ ينْطَلِقُ؛ ليُفَعِّلَ خصائصَ الإيمانِ على نَحْوٍ عَمَليٍّ بنّاءٍ، يَدْفَعُ به غائِلَةَ العَدوِّ، ويَحْمي به بيضَةَ الإسلامِ، ويذود عن أهْلِه بنفْسِه وماله،

(1) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص: 167.

كما أنَّ التَّعبيرَ بصِفَةِ الإيمانِ تَمْييزٌ لهذهِ الفِئَةِ المُخْلِصَةِ المُتَفانِيَةِ، عنْ كلِّ من ادَّعَى الإسلامَ ظاهِرًا، دونَ أن يتَغَلغَلَ الإيمانُ في قلبِه واقعًا، وهُم المنافقونَ، ففيها التَّعريضُ بالمنافقين الذين قيل فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾.

نكتةُ التَّعْبيرِ بالاسمِ الظّاهر دون الموصول:

المؤمنونَ اسمٌ عَلَمٌ يُطلقُ على الثّابتين في مواجهةِ الباطلِ

في قوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ﴾ آثَرَ النَّظْمُ الحكيمُ التَّعبيرَ باسْمِ الفاعِلِ من غير الثلاثي ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، دونَ التَّعْبيرِ بالاسم الموصولِ (الَّذينَ آمنوا)؛ وذلكَ لِما في التَّعبيرِ باسم الفاعِلِ من إفادَةِ الثَّباتِ والدَّوامِ على الصِّفَةِ، فَهَذِه الفِئَةُ المُخْلِصَةُ المُتفانِيَةُ قدْ تحقَّق الإيمانُ في نُفوسِهم في الماضي، وهُم مُسْتَمْسِكونَ به في الحالِ والاستقبالِ، على النَّقيضِ مِنَ المُنافقينَ الَّذينَ لَمْ يَتَحَقَّقوا به في الماضي ولا في الحالِ، ولذا كانَ التَّعبيرُ باسمِ الفاعلِ أشدَّ في الدِّلالَةِ على استمساكِهم بإيمانِهم، خاصَّةً أنَّ الآيَةَ واردَةٌ عَقِبَ ذِكْرِ المُنافِقينَ، وليكونَ هذا النَّعتُ كالاسمِ العلَمِ على الذين يثبتون في أوقاتِ الفتنِ والبلاءِ.

معنى تعريف لفظِ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾:

أفاد تعريفُ لفظِ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ معنى الكمال، "أي: الكاملونَ في الإيمانِ"[1]، فهم الذين تغلغلَ الإيمانُ في قلوبِهم، فكان منهم ذلك الجهادُ، وذلك الثَّبات، ولا يكون ذلك إلّا للكُمَّلِ.

بلاغةُ إظهارِ لفظِ ﴿ٱلۡأَحۡزَابَ﴾:

بيانُ سببِ مقالِ المؤمنين الذي استحقّوا به مفارقةَ المنافقين

أظهر النَّظْمُ الحكيمُ لفظَ الأحزابِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ﴾، لأمن لبس الاحتمالِ، وإعادةُ ذكْرِ الأحزابِ كانَ بيانًا للسَّبَبِ الَّذي لأجلِه قال المؤمنونَ مقالَتَهم، وإيضاحًا للامتنانِ في قولِ اللّهِ سُبْحانَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 324.

عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ [الأحزاب: 9]، وكذلك فإنَّ في التَّصريحِ بذكرِ الأحزابِ إظْهارًا للمفارقةِ بين استجابَةِ المؤمنينَ، وخَورِ المُنافقينَ وهَلَعِهم الَّذي كَشَفَهُ قولُ اللهِ تباركتْ آلاؤه: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِلفظِ القَوْلِ:

قـــولُ الـخـيـرِ نعمةٌ يمنُّ بها الله على عبادِه المؤمنين

عَبَّرَ النَّظْمُ الحكيمُ بفِعْلِ القولِ ﴿قَالُوا۟﴾؛ جَوابًا للشَّرْطِ في قوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾؛ وذَلِكَ لِما في التَّعبيرِ بالقَولِ مِنْ قوَّةِ التَّصريحِ عَمّا في نُفوسِهم من الثباتِ والصُّمودِ، فَهُم لمْ يَكْتَفوا باعْتِقادِهم الصّادِقِ الرّاسِخِ، وإنَّما آثَروا الإبانَةَ الواضِحَةَ عنْه بالقولِ البليغِ؛ تشجيعًا لِغَيْرِهم وحَثًّا لهُم وشدًّا من أزْرِهم.

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ الوعدِ:

التَّعبيرُ بالوعدِ يفيدُ مَعْنَى البِشارَةِ والخيرِ

آثَرَ البيانُ القُرْآنيُّ في قوْلِ اللهِ تعالى: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ التَّعبيرَ بمادَّةِ الوعدِ، دونَ مادَّةِ الإخبارِ؛ لأنَّ الوعدَ هو الإخْبارُ بإيصالِ الخَيْرِ في المُسْتَقْبَلِ[1]، ففيه بِشارَةٌ وإخبارٌ في الآنِ نفْسِه، أمّا الخبرُ؛ فَهوَ العلمُ بالأشْياءِ المَعْلومَةِ مِنْ جِهَةِ الخَبَرِ، فلا يَتَضَمَّنُ ما يتَضَمَّنُه الوعدُ منَ البِشارَةِ.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِصيغةِ الماضي:

آثَرَ البيانُ القُرْآنيُّ في قوْلِه تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾ التَّعبيرَ بصيغةِ الفعلِ الماضي؛ للدِّلالَةِ على تحقُّقِ الوعدِ وثباتِه، فوعدُ اللهِ سواء بالنَّصرِ أم الابتلاء أمْرٌ ثابتٌ لا محيدَ عَنْهُ.

دَلالَةُ إسْنادِ الوَعْدِ إلَى لَفْظِ الجَلالَةِ:

أسْنَدَ النَّظْمُ الحكيمُ فعلَ الوعدِ في قوْلِه تعالى: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا

(1) الكرماني، الكواكب الدراري: 1/ 147.

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ للهِ ﷻ؛ للدِّلالةِ على شرفِ الوعدِ وعظيمِ مكانتِه، فإذا كانَ الوعَدُ من قِبَلِ اللهِ؛ فلا شكَّ أنَّهُ وعْدٌ عظيمٌ شريفٌ، لا يُدانيه وعدٌ، وفيه أيضًا دلالةٌ على صِدقِ تحقُّقه؛ لأنَّه وعد الله العظيم الذي لا يخلف وعده، ومَن أصدقُ من اللهِ قيلًا وحديثًا ووعدًا؟

إذا كانَ الوعَدُ مِنْ قِبَلِ اللهِ؛ فلا شكَّ أنَّهُ وعْدٌ عظيمٌ شريفٌ، لا يدانيه وعدٌ

غرضُ عَطْفِ ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ على لَفْظِ الجَلالَةِ:

عطَفَ البيانُ القرآنيُّ في قوْلِ اللهِ تعالى: ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ لفظَ ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ على لفْظِ الجلالَةِ لبيان عظيم مكانته ﷺ وشريف منْزِلَتِه عند اللهِ، فالوعدُ ابتداءً من اللهِ سُبحانَه، وما رسولُ اللهِ ﷺ سوى مُبَلِّغٍ لَه عنْ رَبِّه، إلّا أنَّ النَّظَمَ الحَكيمَ عطَفَهُ؛ ليَلفِت أنظارَ النّاسِ عامَّةً والمسلمينَ خاصَّةً إلى عظيمِ مكانةِ رسول اللهِ ﷺ، لتتحقَّقَ الأُسْوَةُ والقدْوَةُ على أكْمَلِ درجاتها.

عظيمُ مكانتهِ ﷺ وشريفُ منْزِلَتِهِ عند اللهِ تعالى

نكتةُ استعمالِ نعت الرسول دون النَّبيِّ:

في قوْلِ اللهِ تعالى: ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ جاء التَّعبيرُ باستعمالِ نعتِ الرِّسالَةِ دونَ النُّبوَّةِ؛ لأنَّ نعتَ الرِّسالَةِ يقْتَضي التَّبْليغَ عن اللهِ سبحانه، ولمّا كانَ الوعدُ يتَضَمَّنُ التَّبْليغَ بالضَّرورةِ، فكانَ الأنْسَبُ للسياقِ التَّعبيرَ بالرِّسالةِ دون النُّبوَّةِ.

اختيارُ الألفاظِ لمناسبةِ السياقِ

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بالماضي ﴿وَصَدَقَ﴾:

حَكَى النَّظْمُ الحكيمُ قولَ المُؤْمِنينَ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، فالكلامُ مُسْتَعْمَلٌ في الخَبَرِ عَنْ صِدْقٍ مَضى وعَنْ صِدْقٍ سَيَقَعُ في المُسْتَقْبَلِ، وهو ما وُعِدوا به من الشِّدَّة والنَّصرِ بَعدَ ذَلك، فَهوَ وعدٌ مُحَقَّق وُقوعُهُ بِحَيْثُ يُجْعَلُ اسْتِقْبالُهُ كالمُضيِّ مِثْلَ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 1]، فَهو مُسْتَعْمَلٌ في مَعْنى التَّحَقُّقِ، أوْ هو اسْتِعْمالُ اللَّفْظِ في حَقيقَتِه ومَجازِه، ولا شَكَّ أنَّ مَحْمَلَ الفِعْلِ عَلى الصِّدْقِ في المُسْتَقْبَلِ أنْسَبُ بِمَقامِ الثَّناءِ عَلى المُؤْمِنينَ وأعْلَقُ بِإناطَةِ قَوْلِهِمْ

الكلامُ مُسْتَعْمَلٌ في خَبَرِ الماضي والمستقبلِ

بِفِعْلٍ: ﴿رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ دونَ أنْ يُقالَ: ولَمّا جاءَتِ الأحْزابُ، فَإنْ أبَيْتَ اسْتِعْمالَ اللَّفْظِ في حَقيقَتِهِ ومَجازِهِ، فاقْصُرْهُ عَلى المَجازِ، واطْرَحِ احْتِمالَ الإخْبارِ عنِ الصِّدْقِ الماضي[1]، وفي ذلكَ دلالَةٌ على ثباتِ المؤمنينَ وحُسنِ توكُّلِهم على اللّه وصحَّةِ اعتقادِهم.

فائدةُ إظهارِ لفظِ: ﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ دونَ الإضْمارِ:

ما نطقتِ الألسنُ ولا سمعتِ الآذانُ أعظم من اسميهما

أعادَ النَّظْمُ الحكيمُ اسمَ الجلالةِ واسمَ الرَّسولِ الكريم ﷺ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ مُظهرينِ مَعَ سَبْقِ الذِّكْرِ لهما في الآيةِ نفسِها؛ لِكَمالِ تَعْظيمِهما وتَشْريفِهما، ولِأنَّهُ لَوْ أُضْمِرَ، فقيلَ: (وصَدَقا)؛ لجاءَ الجَمْعُ بَيْنَ اللّه تَعالى وغَيْرِهِ في ضَميرٍ واحِدٍ، والأوْلى تَرْكُهُ، أوْ قيلَ: (وصَدَقَ هو ورَسولُهُ)؛ لبَقيَ الإظْهارُ في مَقامِ الإضْمارِ[2]، كَما أنَّ في ذِكْرِ الألوهيَّةِ والرِّسالةِ مدَدًا أيَّ مَدَدٍ لهَذِهِ القلوبِ الشَّفّافَةِ الَّتي لا ترى أحبَّ إليها مِنَ اللّهِ ورسولِه[3]، ثمَّ إنَّ إعادةَ ذكرِ هذين اللَّفظين نطقًا وسماعًا يتركُ في القلبِ لُطفَ المأخذِ، وجمالَ الرّوحِ.

غرضُ حذفِ مُتَعَلَّقِ فعلِ ﴿وَصَدَقَ﴾:

إرادةُ عمومِ ما أخبرا بوقوعِهِ في الدُّنيا والآخرة

حذَفَ النَّظْمُ الكريمُ مُتَعَلَّقَ فعلِ الصِّدْقِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾؛ لإرادةِ العمومِ والإطلاقِ، فإنَّ اللّهَ تباركتْ آلاؤه هو الصّادِقُ البَرُّ الرحيمُ الَّذي اتَّصف كُلُّ ما أخبرَ به، أو وعدَ به بالصِّدقِ من أمورِ الدُّنيا، سواءٌ أكانَ وعْدًا أم ابتِلاءً، أم نَصْرًا، أو كانَ في الآخرةِ بعثًا وحسابًا وجزاءً، كما أنَّ رسولَه الكريمَ ﷺ صادق أبلغ الصِّدق وأوفاه في كُلِّ ما أخْبَر به عن ربِّهِ في وعدِه ووعيدِه، وفي كلِّ ما أتى به من أمْرٍ، فإرادة العمومِ باديةٌ واضحةٌ، بل لا يُفْهَمُ من النَّصِّ الكريمِ سواهما.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 305.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 166.
(3) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص: 172.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِالزِّيادَةِ مادَّةً وصيغَةً:

المِحَنُ والشَّدائدُ لا تزيدُ المؤمنينَ إلّا صلابَةً وعزَّةً وثوابًا

عَبَّرَ النَّظْمُ الكريمُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ عن مدى ثباتِ المؤمنينَ وحُسْنِ تَوَكُّلِهم على اللّه سبحانه بتقرير الإيمان وتوكيدِ التَّسليم، واستعملَ مادة الزِّيادَةِ؛ لأنَّ الزِّيادَةَ: أنْ يَنْضَمَّ إلَى ما عليه الشَّيْءُ في نَفْسِه شَيْءٌ آخَرُ، والمَقْصودُ هُنا زيادَةُ الإيمانِ في حدِّ ذاتِه، أوْ زيادَةُ أوْصافِه وما يُؤْمِنُ به المُسلمُ[1]، فدلَّ التَّعبيرُ بِلَفظِ الزِّيادةِ عَلى أنَّ أصلَ الإيمانِ والتَّسليم مُتَحَقِّقٌ في قُلوبِهمْ قَبلَ أن يَرَوا الأحزابَ، فَلَمّا رَأوهمْ؛ زادَهم ذَلكَ إيمانًا عَلَى إيمانِهم وتَسليمًا على تَسْليمِهم، وقدْ آثَرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالفعلِ الماضي؛ للدِّلالَةِ على التَّحَقُّقِ والدَّوامِ؛ تأكيدًا لثباتِ المؤمنينَ، وأنَّهُم لا تزيدُهم المِحَنُ والشَّدائدُ إلّا صلابَةً وعزَّةً في دينِ اللّهِ سبحانَه، وهوَ ثَمَرَةٌ من ثمارِ رسوخِ العقيدةِ وثباتِ الإيمانِ، وتَأْنيثُ الرُّؤْيَةِ غَيْرُ حَقيقيٍّ، والمَعْنَى: ما زادَتهُمُ الرُّؤْيَةُ إلّا إيمانًا بِالرَّبِّ وتسليمًا للقضاء، وقال بعضُهم: وما زادَهُمُ النَّظَرُ إلَى الأحزاب[2]، وهو تَفَنُّنٌ في التَّعبير من ضروب النَّظمِ الكريم.

دلالةُ الضَّميرِ المستترِ:

الابتلاءُ العظيمُ لا يزيدُ المؤمنين إلّا استبشارًا وإقبالًا

الضَّميرُ المُسْتَتِرُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ عائِدٌ إلى ما عادَ إلَيْهِ اسْمُ الإشارَةِ، أيْ: وما زادَهم ما رَأوا إلّا إيمانًا وتَسْليمًا، فالمؤمنون بِعَكْسِ حالِ المُنافقينَ الذين زادَهم شَكًّا في تَحَقُّقِ الوَعْدِ، والمَعْنى: وما زادَ ذَلكَ المُؤْمنينَ إلّا إيمانًا، أيْ: ما زادَ في خَواطِرِ نُفوسِهِمْ إلّا إيمانًا، أيْ: لَمْ يَزِدْهم خَوْفًا عَلى الخَوْفِ الَّذي مِن شَأْنِه أنْ يَحْصُلَ لِكُلِّ مُتَرَقِّبٍ أنْ يُنازِلَهُ العَدوُّ الشَّديدُ، بَلْ شَغَلَهم عَنِ الخَوْفِ والهَلَعِ شاغِلُ الاسْتِدْلالِ بِذَلِكَ عَلى

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 167.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 157.

صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ فيما أَخْبَرَهم بِهِ، وفيما وعَدَهُمُ اللّه عَلى لِسانِ رَسولِهِ ﷺ مِنَ النَّصْرِ، فَأَعْرَضَتْ نُفوسُهم عَنْ خَواطِرِ الخَوْفِ إلى الاسْتِبْشارِ بِالنَّصْرِ المُتَرَقَّبِ[1].

بلاغةُ أُسلوبِ القَصْرِ:

تقريرُ حقيقةِ الإيمانِ في نفوسِ المؤمنينَ، وتمكينُهُ من قلوبِهم

دلَّ أسلوبُ القصرِ في قَولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ على تقريرِ حقيقةِ الإيمانِ في نفوسِ المؤْمنينَ، وعلى تَمْكينِهِ من قلوبِهم، ولِدَفْعِ أيِّ شُبْهَةٍ مِنْ إنكارٍ أو شكٍّ قد تعتري قلبَ أحدٍ مِنَ النّاسِ، ودلَّ كذلكَ على شدَّةِ المُقابَلَةِ بينَ ثباتِ هؤلاءِ المُخلصينَ على إيمانِهم في مقابلِ شدَّةِ الخَورِ والجُبْنِ وفسادِ الاعتقادِ في قلوبِ المنافقينَ، فدلَّ القصر هنا باستعمال (ما) النّافية والاستثناء بـ﴿إِلَّآ﴾ على أنَّ نُفوس أهل الإيمان لم يداخلها شيءٌ غير الاطمئنان بموعود اللّه تعالى ورسوله ﷺ.

غرضُ تنكيرِ لفظ ﴿إِيمَٰنًا﴾:

الإيمانُ العظيمُ يولدُ من رَحِمِ الشَّدائِدِ والأهْوالِ

جاءت كلمةُ ﴿إِيمَٰنًا﴾ نَكِرَةً في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾؛ لتعْظيمِ الإيمانِ، فَهوَ إيمان عامٌّ شامِلٌ، يسعُ الدُّنْيا بأسرها، وما ذاكَ إلّا لأنَّه إيمانٌ جاء بعد تصديقٍ بموعودِ اللّه ورسولِه ﷺ، ثمَّ زادَ تحقُّقه بِمُعاينةِ هذا الموعودِ رأْيَ العينِ، فجمع بين الإيمان بالغيب وطمأنينة القلب برؤية الوعد، كمال قال خليل اللّه تعالى إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: 260].

نكتةُ اختيارِ لفظِ ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ وتنكيره:

الانْقيادُ والطّاعَةُ والرِّضا أبينُ علاماتِ التَّسليمِ

وجاءت كلمةُ ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ نَكِرَةً في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾؛ للمُبالَغَةِ في ذَلِكَ الإيمانِ، فَهوَ تَسْليمُ الرِّضا واليقينِ بنصرِ اللّه، فلا يكادُ يتَلَجْلَجُ في قلب الواحدِ مِنْهم شكٌّ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 305.

أو تَعْتَملُ في نَفسِه شُبْهَةٌ؛ إذ التَّسْليمُ الحَقُّ هوَ الخَلاصُ من شُبهةٍ تُعارِضُ الخَبَر، أو شَهْوَةٍ تُعارِضُ الأمرَ، أوْ إرادةٍ تُعارِضُ الإخلاصَ، أوِ اعتراضٍ يُعارِضُ القَدَرَ والشَّرْعَ، ومَنْ فَعَلَ ذَلِك؛ فَهوَ صاحِب القَلْبِ السَّليمِ الَّذي لا يَنْجو إلّا مَن أتى اللّهَ به، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ التَّسْليمَ ضِدُّ المُنازَعَةِ، وهوَ مَحْضُ الصِّدّيقيَّةِ[1]، وهوَ عينُ المرادِ من المُبالَغَةِ بالتَّنْكير هَهُنا.

نكتةُ عَطْفِ ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ على ﴿إِيمَٰنًا﴾:

التَّسليمُ مَرْتَبَةٌ صاعِدَةٌ في مَراتِبِ الإيمانِ فهو من عطفِ النَّتيجةِ على السَّبب

عَطَفَ النَّظْمُ الحكيمُ التَّسْليمَ على الإيمانِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾؛ لأنَّ التَّسْليمَ مَرْتَبَةٌ صاعِدَةٌ في مراتب الإيمانِ؛ إذْ إنَّ زيادَةَ الإيمانِ تَقودُ إلى التَّسليم، فالتَّسْليمُ ثمَرَةُ قوَّةِ الإيمانِ وعنْوان رُسوخِ القَدَمِ في بابِ اليقين، فَهو يوجَدُ عندَ المَرتَبَةِ الأعلى من مَراتِب الإيمانِ، ويُرْشِدُنا إلى ذلكَ وقوعُه بعدَ الإيمانِ في الآيةِ، وهَذا التَّسْليمُ والاستسلامُ للمَعْبودِ تعالى - الَّذي هوَ مرتبةٌ عليا في مراتبِ الإيمانِ - ضَرْبٌ قويٌّ من ضروبِ الإيجابيَّةِ الفَعّالةِ، وطاقَةٌ هائلَةٌ تدفعُ المؤمنَ إلى اقتحامِ الأهوالِ في سبيلِ نُصرةِ الحقِّ[2]، فهو هنا من عطفِ النتيجةِ على السَّبب.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرُّؤْيَةُ والنَّظَرُ:

الرُّؤْيَةُ: إدراكُ الشيءِ إدراكًا حَقيقيًّا، والنَّظَرُ طلبُ ظُهورِه أو التَّفَكُّرُ فيه

النَّظرُ طلب الهدى، والشّاهِد قَوْلهم: نظرت فَلم أرَ شَيْئًا، كما أنَّه طلب ظُهور الشَّيْء، والنّاظِرُ الطّالِبُ لِظُهورِ الشَّيْءِ، واللّهُ ناظرٌ لِعبادِهِ بِظُهورِ رَحمته إيّاهُم، ويكون النّاظرُ الطّالِبُ لظُهورِ الشَّيْءِ بِإدْراكِه من جِهَة حاسَّةِ بصرِه أو غَيرها من حواسِّه، ويكونُ النّاظرُ إلَى لين هَذا الثَّوْب مِنْ لينِ غَيرِه، والنَّظَر بالقَلْبِ ومن جِهَة التَّفَكُّرِ،

(1) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: (سلم).

(2) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص: 174.

والانتظارُ التَّوَقُّف لِطَلَبِ وقتِ الشَّيْءِ الَّذي يصلح فيهِ، والنَّظَرُ أيْضًا هوَ الفِكْرُ والتَّأمُّلُ لأحوالِ الأشْياءِ ألا ترى أن النّاظرَ على هَذا الوَجْه لا بُدَّ أن يكونَ مُفَكِّرًا، والمُفَكِّرُ عَلَى هَذا الوَجْهِ يُسمَّى ناظرًا، وهوَ مَعْنًى غيرُ النّاظرِ وغيرُ المنظورِ فيهِ ألا ترى أنَّ الإنْسان يفصل بَين كَونه ناظرًا وكَونه غير ناظر، ولا يوصف القَديم بِالنَّظرِ؛ لِأنَّ النَّظر لا يكون إلّا مَعَ فقْدِ العلم، ومَعْلوم أنَّه لا يصلح النَّظر في الشَّيْء ليُعلم إلّا وهوَ مَجْهول، والنَّظَر يُشاهد بِالعينِ، فَيُفرق بَين نظر الغضبان والراضي، وأُخْرَى فَإنَّهُ لَو طلب جماعَة الهلال، ليُعلم من رأه مِنْهُم مِمَّن لم يره، مَعَ أنَّهم مِمَّن لم يره رغم أنَّهم جَميعًا ناظرون؛ لصَحَّ بِهَذا أن النَّظر تقليب العين حيال مَكان المرئي طلبًا لرُؤْيَته، والرؤية هيَ إدْراك المرئي، ولمّا كانَ اللّه تَعالَى يرى الأشْياء من حَيْثُ لا يطْلب رؤيتها؛ صَحَّ أنَّه لا يوصف بِالنَّظرِ[1].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 76.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»